العدد 10 لسنة 2023
No 10 August 2023
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952-Electronic ISSN 2790-1254

# مصادر التفسير اللغوية عن الكوفيين التي اعتمدها عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي في تفسيره الجواهر الحسان

م.م تارا تحسين حميد
جامعة كركوك/كلية الآداب/قسم اللغة العربية

**ملخص البحث:**
يتناول البحث تفسيراً مهما مشهوراً ومتداولا من تفاسير القرآن الكريم ، وهو الجواهر الحسان في تفسير القرآن للإمام الأندلسي الجليل عبد الرحمن الثعالبي ، وفي هذا البحث أردنا تسليط الضوء على حياته ومؤلفاته وكتابه الموسوم بالجواهر الحسان و على الحالة السياسية والفكرية في عصر هذا العالم الجليل و إبراز علماء النحو الكوفي الذين ذكرهم الثعالبي في هذا التفسير وبيان سيرتهم ومذاهبهم ومكانتهم العلمية وآثارهم وهم:أبان بن تغلب الكوفي ،أبو جعفر الرؤاسي، أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي ، أبو زكريا الفراء ، أبو يعقوب يوسف بن السكيت ، أبو العباس ثعلب ، أبو جعفر الطيار.
**كلمات مفتاحية :** مصادر التفسير اللغوية ،الكوفيين ، عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي ، الجواهر الحسان

# The Linguistic Sources Of Interpretation Of The Kufans Adopted By Abd Al-Rahman Bin Makhlouf Al-Thalabi In His Interpretation Of Al-Jawaher Al-Hasan

A. L. Tara Tahseen Hamid
Kirkuk University/College of Arts/Department of Arabic Language

**Summary**:
The research deals with an important, well-known and popular interpretation of the Holy Qur'an, which is Al-Jawahir Al-Hassan in the interpretation of the Qur'an by the great Andalusian imam Abd Al-Rahman Al-Tha'alabi. The Kufic grammar mentioned by al-Tha'alabi in this interpretation and an explanation of their biography, their doctrines, their scientific standing, and their effects, and they are: Aban bin Taghlib al-Kufi, Abu Jaafar al-Raasy, Abu al-Hasan Ali bin Hamza al-Kisa'i, Abu Zakariya al-Farra', Abu Yaqoub Yusuf ibn al-Sakit, Abu al-Abbas Tha'lab, Abu Jaafar al-Tayyar.
**Keywords**: linguistic sources of interpretation, Al-Kufin, Abd Al-Rahman bin Makhlouf Al-Thalabi, Al-Jawaher Al-Hassan

## عبد الرحمن الثعالبي ، سيرته وكتابه الجواهر الحسان

هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف[1]يكنى بأبي زيد ، ويلقب بالثعالبي نسبة إلى خياطة جلد الثعالب ،وعمل الفراء[2]،وبالجزائري المالكي نسبة إلى البلدة المعروفة[3]بناحية وادي يسر بالجنوب الشرقي من مدينة الجزائر[4].

ولد في ذي القعدة سنة(753هـ)[5]، أمّا عن نشأته ،فقد ذكرت المصادر أنّه نشأ في بيت علم وفضل[6]رحل من الجزائر في طلب العلم سنة (802هـ) ودخل تونس عام (805هـ) فأخذ عن أصحاب ابن عرفة ،ثم رحل إلى مصر[7]فلقي بمصر الشيخ ولي الدين العراقي فأخذ عنه علوما جمة ثم لقي بمكة بعض المحدثين ورجع إلى الديار المصرية ومنها إلى تونس فمكث بها سنة ثم رجع إلى مدينة الجزائر وفيها نشر علمه الغزير[8]،وقد دامت رحلته إلى المشرق عشرين عاما[9]وكانت الديانة أغلب عليه من العلم فكان يتحرى في النقل أتم التحري وإن كان لا يستوفيه في بعض

المواضع[10]،ولم يكن يدعي الاجتهاد ، ولا نسب إليه[11]، ولي القضاء على غير رضا منه ثم خلع نفسه[12].

مصنفاته:

ترك الإمام الثعالبي أربعين مصنفاً نذكر منها:

- إغاثة الملهوف.
- الإرشاد في مصالح العباد.
- التقاط الدُّر.
- الأنوار في آيات النبي المختار.
- الأنوار المضيئة في الشريعة والحقيقة.
- تحفة الإخوان في إعراب بعض آي القرآن.
- جامع المهمات، في الفقه.
- الدرّ الفائق المشتمل على أنواع الخيرات والأذكار والدعوات.
- الذّهب الابريز في غرائب القرآن العزيز.
- روضة الأنوار ونزهة الأخيار.
- رياض الصَّالحين .
- العلوم الفاخرة في النظر بأمور الآخرة.
- قطب العارفين في التصوف ،شرح مختصر ابن الحاجب [13].

مكانته العلمية:

كان من أولياء اللَّه المعرضين عن الدنيا وأهلها، ومن خيار عباد اللَّه الصالحين، قال السخاوي: كان إمامًا علامة مصنفًا اختصر تفسير ابن عطية في جزأين وشرح ابن الحاجب الفرعي في جزأين وعمل في الوعظ والرقائق وغيرها- اهـ[14]

وقال الشيخ زروق: شيخنا الفقيه الصالح والديا عليه أغلب من العلم، يتحرى في النقل أتم التحري وكان لا يستوفيه في بعض المواضع- اهـ.

وقال ابن سلامة البكري: كان شيخنا الثعالبي رجلًا صالحًا زاهدًا عالمًا عارفًا وليًا من أكابر العلماء، له تآليف جمة أعطاني نسخة من تفسير الجواهر لا بشراء ولا عوض، عاوضه اللَّه بالجنة[15].

كتاب الجواهر الحسان:

هو مختصر في التفسير ويعد مرجعاً مهما في بابه لأنّه يعتبر عصارة تفسير ابن عطية الذي يعتبره ابن خلدون عصارة التفاسير المتقدمة عليه، يعتبر في الجملة تفسيرا أثريا ذا نزعة صوفية وعظية يهتم بالقضايا الاجتماعية[16].

## الحالة السياسية والفكرية في عصر الشيخ عبد الرحمن الثعالبي(ت875هـ)

يعدّ الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس فاتحة عهد لنشر مختلف العلوم فيها، وتخليص تلك الديار من نقمة الجهل والظلام، فانتشرت بفضل المسلمين علوم شتى كانت معروفة في المشرق الإسلامي من فلسفة ،وطب ،ولغة ،وغيرها[17] مما تزيّن به البلاد التي تنعمت بذكر لا إله إلا الله[18]لأنه (لو لم يكن القرآن الكريم لكان العالم اليوم غير ما هو في كل ما يستطيل به ،وفي تقدمه وانبساط ظل العقل فيه وقيامه على أرجائه، وفي نموه واستبحار عمرانه فإنّما كان القرآن أصل النهضة الإسلامية وهذه كانت على التحقيق هي الوسيلة في استبقاء علوم الأولين وتهذيبها وتصفيتها ،وإطلاق العقل فيما شاء أن يرتع منها)[19]وقد كان للنحو والتفسير نصيب وافرٌ من اهتمامات الأندلسيين أسوة بالمشارقة وليس غريبا أن يلقى هذا العلم اهتماما عظيما

عند أهل المشرق و المغرب، وذلك لصلته الوثيقة بمصدري التشريع الإسلامي ،القرآن الكريم، والحديث الشريف، حيث غزا مرض اللحن العربية الفصيحة ،وأصبح الخطر يقترب شيئا فشيئا إلى القرآن الكريم[20] ومما يحسب للكوفيين في ضمن هذا التاريخ أو المنعطف السياسي والفكري أن كتاب الكسائي سبق كتاب سيبويه في دخوله الأندلس (لا نعرف أوّل من أدخل هذا الكتاب (كتاب سيبويه) الأندلس ، وقد عرف أول من أدخل كتاب الكسائي وهو جودي بن عثمان العبسي الذي كان يؤدب أولاد الخلفاء بالعربية ،وقد رحل إلى المشرق وأخذ عن الرياشي والفراء والكسائي ،وأدخل كتابه إلى الأندلس )[21] ثم أخذت دراسة النحو تزدهر في الأندلس (منذ عصر ملوك الطوائف فإذا نحاتها يخالطون جميع النحاة السابقين من بصريين وكوفيين وبغداديين ،وإذا هم ينتهجون نهج الأخيرين من الاختيار من آراء نحاة الكوفة والبصرة)[22] .

وحين نختصر المسافة في تقريب عصر الشيخ عبد الرحمن الثعالبي نقول: يعدّ القرن التاسع للهجرة الموافق القرن الخامس عشر الميلادي هو العصر الذي واكب أحداثه ،وعاصر شخوصه وتحولاته الشيخ عبد الرحمن الثعالبي المتوفى (875ه) صاحب التفسير الموسوم بـ (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) وهو العصر الذي ترك آثارا معمقة في داخل جزائر بلد الشيخ ،إذ ولد في وادي(يسر)إحدى المناطق القريبة من عاصمة الجزائر سنة (784ه) ،والتي عرفت باسمه إلى مدى قريب (بلد سيدي عبد الرحمن) ولم تكن الجزائر وحدها قد أصيبت بأحداث دامية بل معها أخواتها من بلدان المغرب العربي ،إذ أخذت الانشقاقات تسري في عروق الطمع والإثرة وحبّ السلطة وهو أمرٌ ذاق مرارته الشيخ الواعي داخل مملكته وخارجها على شاكلة عضو يشتكي بالسهر والحمّى،حتى طال الانشقاق هذه الأصقاع ،وإمتد الجرح بعد سقوط دولة الموحدين في موقعة (حصن العقاب)بالأندلس(1212م) أي القرن السابع للهجرة ، فأخذ الانقسام طريقه إلى جسد الأندلس لتمسي دويلات هزيلة وضعيفة تتناثر ضياعا ،ومتاهةً كالدولة الحفصية بتونس(1228-1534م)،والدولة المرينية بالمغرب (1269-1550م)، والدولة الزيانية بالجزائر(01235- 1554م) ،وهي دويلات ،كانت تدّعي بأحقيتها في ميراث دولة الموحّدين ،وهي مدعاة جرّت إلى الضعف والانقسام بين الأخوة الأعداء ،إلا أن الغفلة السياسية والفكرية ضربت بغشاوة على الأبصار فأخذ التحرش الإسباني والبرتغالي يظهر بوضوح على سواحل شمال افريقيا مما أربك المعادلة عند ضعفة السياسة والفكر ،فافقدهم الاستقرار بل انتابهم القلق أمّا الجزائر التي دخلت هذه الدوامة السياسية والفكرية، فهي الأخرى لم تسلم من أعراض التحرش مع وجود شيء من الحركة الثقافية والفكرية في مدينة تلمسان عاصمة الدولة الزيانية التي ظلّت طرية بعض الشيء في العطاء وتقديم أثر ناضج وسط هذا المأزق الفكري والسياسي الذي أخذ ينخر في جدار الحضارة ،إذ لم تتأثر الجزائر –الزيانية- على الرغم من العصبية السياسية كما تأثرت أخواتها (الحفصية) و(المرينية) ،فقد شحّت أنوار هنا وهناك من مدارس عمّت ومراكز وكتائب اقيمت لتشعّ من وسط التهديد والتحرش بل إقبال طلاب العلم على (الجزائر) للتزوّد من بحر علومها ،وانتقل الجزائريون إلى خارج مملكتهم لمواصلة الدراسة والتعلّم ، مما يعني أنّ الجمرة أخذت تتقدّح من أعماق فكر لا تعرف الموت وهكذا أخذت العلوم صامدة تنبلج وسط الركام ولا سيما العلوم الدينية ،ويكون للشيخ الثعالبي القدح المعلى في تروية الفكر[23]،إذ لم يرضَ بما توافر في بلده من علوم ومعرفة ،وإنما أخذ بشد الرحال إلى عاصمة العالم الإسلامي يومئذ ،وأعني (بجاية) ليتلقى العلم على كبار علمائها من أمثال أبي زيد الوغليسي (ت 836ه)، وأبي عبد الله الو شتاني (ت827ه) وأبي القاسم بن أحمد البرزلي القيرواني(ت814ه) والزعبي(ت833ه) وغيرهم[24] ثم يتوجه الشيخ الثعالبي صوب المشرق ،وينزل مصر ولقي من شيوخها المحدّث العراقي صاحب الألفية في علوم الحديث (ت826ه) ،ثم حجّ فلقي بمكة المكرمة جمعا من علمائها الكبار.

قد وصفه الشيخ الفقيه ابن زكريا المفتي المالكي، وأحد أساتذة (المدرسة الثعالبية) بالجزائر إبان الاستعمار الفرنسي البربري بقوله(رحالة زمانه لرواية الحديث)[25].

وفاته:

توفي في الثالث والعشرين رمضان المبارك سنة (875ه) ودفن بجبانة الطلبة في مدينة الجزائر و قد طعن في تسعين عاماً رحمه الله تعالى[26] .

لقد بنى الشيخ عبد الرحمن الثعالبي جزءاً كبيراً من تفسيره على آراء الكوفيين من لغة ونحو وقراءات ؛ مما يعني أنّ هذه الآراء الكوفية لاقت اهتماما من هذا الشيخ الأندلسي والأندلسيين ،ثم في تفسيره الذي يمثل جهداً أندلسيا أخذ عن المشارقة علومهم و معارفهم في هذا الصدد من خلال تصانيفهم من دون ذكر تلك التصانيف ، وإنّما الاكتفاء بذكر أعلامهم .

وقد وجدنا من المناسب الإشارة إلى هؤلاء الأعلام و هم :

1- أبان بن تغلب الكوفي(ت141ه):

هو أبان بن تغلب بن رباح البكري الجريري بالولاء[27]ويقال أبو أميمة الكوفي النحوي الجليل[28]قارئ لغوي[29]ثقة[30]عظيم المنزلة ، جليل القدر[31]، قال ياقوت:(ذكره أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في مصنفي الامامية)[32]،كان جده رباح مولى جرير بن عباد البكري(من بكر بن وائل) فنسب إليه[33](وهو من أسنان حمزة الزيات ، لم يعد في التابعين، لكنه قديم الموت)[34]وقال فيه الداني (أخذ القراءة عن طلحة بن مصرف، وعاصم بن أبي النجود ، وتلقى الحفظ من الأعمش [35]،(ويقال أنّه لم يختم القرآن على الأعمش إلا ثلاثة منهم أبان بن تغلب)[36]. و أخذ عنه : إدريس بن يزيد الأودي ، وابنه عبد الله ادريس ،وشعبة، وسفيان بن عُيينة ،وحماد بن زيد ، وهارون بن موسى [37] و(أخذ القراءة عنه عرضا محمد بن صالح بن زيد الكوفي )[38].

مصنفاته :

ومن مصنفاته كتاب معاني القرآن ، وكتاب من الأصول في الرواية على مذهب الشيعة وكتاب القراءات ، وكتاب الفضائل ، و كتاب غريب القرآن[39].

2- الكسائي(ت189ه) :

هو(أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي مولاهم الكوفي)[40]إنّما قيل له الكسائي لأنّه دخل الكوفة وأتى حمزة بن حبيب الزيات وهو ملتف بالكساء فقال حمزة من يقرأ فقيل له صاحب الكساء فبقي علما عليه وقيل بل أُحرم في كساء وهو شيخ القرّاء وأحد السبعة و إمام النحاة[41].

ولد بالكوفة من أصل فارسي سنة تسع عشرة ومائة للهجرة ،ونشأ بها[42]وحفظ القرآن ،وقد تلقاه مشافهة عن قرّاء الكوفة المعروفين في عهده ، حتى صار إمام الناس في القراءة في زمانه ، وأعلمهم بها ، وأضبطهم لها ، وانتهت إليه رئاسة

الإقراء بالكوفة بعد الإمام حمزة[43]تعلم النحو على كبر[44]، مات بالريّ مع أبي يوسف القاضي، وكان خرجا مع الرشيد ، فقال : دفنت الفقه والنحو في يوم واحد ، وذلك سنة ثنتين –أو ثلاث ، وقيل تسع – ثمانين ومائة ، وقيل ثنتين وتسعين[45]إلا أنّ أكثر الأقوال تشير إلى أنّه توفى سنة تسع وثمانين ومائة عن سبعين عاماً[46].

أما ورود هذا العلم الكوفي عند الثعالبي فقد ورد اسم أبي الحسن الكسائي في مواضع في تفسير الثعالبي سواءً في آراء نحوية أو قراءات أو مسائل لغوية[47].وسنأتي على ذلك حين تناول مسائل الكوفيين في الفصل الأخير من هذه الرسالة إن شاء الله تعالى.

3ـ الفرّاء (ت 207 ه) :

اسمه ولقبه :

هو (أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء مولى بني منقر)[48] سمي بالفرّاء لأنّه كان يفري الكلام[49] ولم يكن يعمل الفراء ولا يبيعها[50].

ولد بالكوفة سنة (144ه) ونشأ بها نشأته الأولى ، وظلّ فيها حتى ظهرت مواهبه وبزّ أقرانه[51] وانتقل إلى بغداد ، وعهد إليه المأمون بتربية ابنه ، فكان أكثر مقامه بها ، فإذا جاء آخر السنة انصرف إلى الكوفة فأقام أربعين يوماً في أهله يوزع عليهم ما جمعه ويبرهم[52] كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب[53] وهو إمام من أئمة الكوفيين بعد الكسائي[54]وكان يقال عنه إنّه أمير المؤمنين في النحو[55] وزعيم الكوفيين بعد الكسائي[56]–مع بعض الفروق بينهما – حذقاً وسعة إطلاع ، واستفادة من الثقافات الأجنبية ، التي عرفت في البيئات الدراسية[57].عاش الفرّاء ثلاثة وستين عاماً وتوفي في طريق مكة عام (207ه) في خلافة المأمون ، بعد دخول المأمون العراق بثلاث سنين[58].

له كتب في العربية كثيرة جداً[59]منها كتاب الحدود، وكتاب معاني القرآن، والمصادر في القرآن ، وكتاب الوقف والابتداء ، وكتاب الجمع والتثنية في القرآن ، وكتاب آلة الكتاب وكتاب المفاخر ، وكتاب المشكل الكبير كتاب المشكل الصغير وكتاب البهي ، وكتاب النوادر ، وكتاب الواو ، وكتاب اللغات[60]. والفراء أكثر الكوفيين ذكراً في تفسير الثعالبي ،إذ ورد اسمه في أكثر من خمسين موضعاً في تفسير الجواهر الحسان[61] سواء باسمه الصريح أو قول صاحب التفسير عن الفراء (بعض الكوفيين) أو ذكر كتابه معاني القرآن[62]إذ وجدنا بعد المتابعة والمناقشة أن المراد ببعض الكوفيين هو الفراء لا غير[63].

مما نستدل من خلال هذا أنّ الفراء أكثر الكوفيين تأثيراً في العلماء من بعده ، مما يعضّد كلامي ما جاء عن الفراء وتأثيره في دراسات خاصة عنه[64]وقد يكون تفسير الجواهر الحسان نموذجاً عن تأثير الفراء في المغاربة فضلاً عن تأثيره في المشارقة حتى استحقّ لقب أمير المؤمنين في النحو[65] .

4ـ ثعلب ( ت 291ه ) :

اسمه ولقبه :

أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني[66]أبو العباس النحو ي الكوفي البغدادي المعروف بثعلب[67]الشيباني بالولاء لمعن بن زائد الشيباني[68].

حياته : ولد أبو العباس ثعلب سنة مائتين[69] في بغداد ونشأ فيها[70]كان ثعلب ممن أرخ لحياته قال ( رأيت المأمون لماقدم خراسان وذلك سنة أربع ومائتين ..... فكان أبي قد حملني على يده فلما مرَّالمأمون رفعني على يده وقال لي هذا المأمون وهذه سنة أربع فحفظت ذلك عنه إلى الساعة وكان سني يومئذ أربع سنين )[71] وأرخ - حتى – لعدد من مصادر ثقافته بقوله: ( في سنة تسع ومائتين طلبت اللغة العربية، وفي سنة ست عشرة ومائتين، ابتدأت النظر في حدود الفراء .... ،وبلغت خمسا وعشري سنة وما بقي عليَّ مسألة للفراء إلا و أنا أحفظها وأحفظ موضعها من الكتاب ولم يبق شيء من كتب الفراء في هذا الوقت إلا وقد حفظته)[72] و(مات لعشر خَلَوْن من جمادي الأول سنةإحدى وتسعين ومئتين)[73] ويحكى إن سبب وفاته (أنه ثقل سمعه بآخره، فانصرف يوم الجمعة، من الجامع بعد العصرو إذا بدواب من ورائه، فلم يسمع صوت حافرها فصدمته فسقط على رأسه في هوة من الطرفين، فلم يقدر من القيام ،فحمل إلى منزله ومات منه)[74]وذلك (في خلافة المكتفي بن المعتضد ، فيكون قد عاصر أحد عشر خليفة من خلفاء العباسيين أولهم المأمون وآخرهم المكتفي)[75] كما جاء في مقدمة تحقيق مجالسه.

منزلته العلمية:

قال الرياشي حينما سُئل عن علماء بغداد : (ما رأيت منهم أعلم من الغلام المنبَّز-يعني ثعلب ..)[76]وقال المبرد : (أعلم الكوفيين ثعلب)[77] وقال أبوبكر بن محمد التاريخي : (أحمد بن ثعلب أصدق أهل العربية لساناً و وأعظمهم شأناً ، وأبعدهم ذكراً ، وأرفعهم قدراً ، وأوضحهم علماً، وحلماً وأثبتهم حفظاً وأوفرهم حظا في الدين والدنيا)[78]، وقال علي بن جمعة بن زهير : (سمعت أبي يقول : لا يرد عرصات القيامة أحد أعلم بالنحو من أبي العباس ثعلب)[79]، وقال المخزومي : (وهو ثالث ثلاثة قامت على أعمالهم مدرسة الكوفة النحوية)[80]كما نراه يقول : ( إنّ ثعلبا كان ذا ثقافة واسعة وحفظ كثير ، وكان مطّلعاً على آراء السابقين من كوفيين وبصريين مما جعله قادراً على أن يتخذ موقفا في كثير من المسائل النحوية ، وأن يكون صاحب رأي يعتد به في النحو الكوفي)[81].

وقد روى عنه صاحب التفسير مسائل في مواضع من تفسيره ، ففي قوله تعالى : وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ( البقرة:30) ، قال: ذهب بعض النحاة إلى أنّ الاستفهام على سبيل التعجب[82]وقال أحمد بن يحيى ثعلب...على جهة الاستفهام المحض))[83]وفي موضع آخر قال الثعالبي:(وقوله لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا) اختلف في هذا الإستثناء.....قال ثعلب: استثنى الله تعالى فيما يعلم ليستثني...)[84] .

5- أبو جعفر الطبري (ت 310هـ) :

اسمه ولقبه :

أبو جعفر الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبريّ الآملي ، أحد الأعلام وصاحب التفسير والتاريخ والتصانيف[85] من حذّاق الكوفيين[86].

مولده ونشأته : ولد أبو جعفر الطبري بآمل عاصمة طبرستان في سنة أربع وعشرين ومائتين من الهجرة ، ولم يكن يبلغ السن التي تؤهل للتعليم حتى عهد به والده إلى علماء بآمل، وسرعان ما ينفتح عقله وتبدو عليه مخايل النبوغ وهو حدث وفي هذا يقول الطبري عن نفسه : (حفظت القرآن ولي سبع سنين ، وصليت بالناس وأنا ابن ثماني سنين وكتبت الحديث وأنافي التاسعة من عمري)[87].

طلب العلم بعد الأربعين ومائتين ، وأكثر الترحال ، ولقي نبلاء الرجال ،وكان من أفراد الدهر علما وذكاءً، وكثرة تصانيف قلّ أن ترى العيون مثله[88]. كما أنّ كتب التاريخ تذكر له عدة صفات أهمها أنّه كان ورعاً كما كان والده ايضاً ورعاً تقياً ، وليسمع بهذا أنّه ورث هذه الصفة عن والده ، بل معناه أنّه تأثر بأبيه ومحاكاته له[89].

كان جريئاً في إعلان ما يعتقده حقاً ومتواضعاً وعطوفاً على تلاميذه وزاهداً في الدنيا. فقد وهب نفسه للعلم ، وأعطى العلم أعظم نصيب من وقته ومن جهده[90]وكان عزيمته قوية ،تنشطه إلى القراءة وهو في الخامسة والثمانين[91]توفي في شوال سنة عشر وثلاثمائة ببغداد ، بعد حياة حافلة بتعليم القرآن وسنة النبي ﷺ[92].

رحلته إلى العلم :

كانت رحلة الإمام الطبري لطلب العلم ونشره رحلة طويلة ابتداء من آمل بعد بلوغ العشرين ، يمَّمَ وجهه تلقاء بغداد ودار السلام ليسمع من ابن حنبل فلم يتحقق له ذلك لموته قبيل دخوله إليها ، فأخذ عن شيوخها وكتب عنهم ، ثم توجَّه إلى البصرة فأخذ عمن فيها من الشيوخ ، ثم عاد إلى بغداد فكتب بها ، وتفقَّه وأخذ في القرآن وعلومه ، وبعد مدّة قضاها في بغداد خرج إلى مصر ، ثم إلى الشام ثمَّ إلى مصر ثمّ الى بغداد ، ثمّ إلى طبرستان مرة أخرى ، ثم عاد الى بغداد وبقي فيها إلى أن مات بها.وفي هذه الرحلة حصل الطبري علما وافراً ، فتفنَّن في كثير من العلوم ، القرآن وعلومه ، والحديث ، والفقه وأصوله ، والعقائد ، والتاريخ ، والنحو ، والشعر ، واللغة ، مدركاً الأسانيد العالية[93].

مصنفاته :

1ـ كتاب (التفسير) : جامع البيان في تفسير القرآن.

2ـ كتاب (تاريخ الرجال).

3ـ كتاب (تهذيب الآثار وتفصيل معاني الثابت عن رسول الله من الأخبار).

4ـ كتاب (تاريخ الأمم).

5- كتاب (ذيل المذيل).

6ـ كتاب (صريح السنة).

7- كتاب (التبصير في معالم الدين).

8ـ كتاب (الخفيف في أحكام شرائع الإسلام).

9- كتاب (اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام).

10- كتاب (لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام).

11- كتاب (المسند المجرد).

12- كتاب (بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام).

13- كتاب (الشهادات).

14- كتاب (الرسالة).

15- كتاب (آداب النفوس).

16- كتاب (أحكام القراءات).

17- كتاب (جمع فيه طرق أحاديث غدير خم).

18- كتاب (جمع فيه طريق حديث طير)[94]

مذهبه النحوي:

إن ما طالعتنا به بعض كتب التراجم الحكم على الطبري بكوفيته، وتمذهبه بمذهبهم ، هو ذلك الحوار بين الشيخ الطبري ثعلب وتلميذ الطبري ابن مجاهد ؛إذ ذكر ثعلب بعد سؤاله ابن مجاهد عمَّن بقي من النحويين في الجانب الشرقي من بغداد ، وذكر ابن المجاهد أنَّه قد خلا منهم مستثنياً منه الطبري ، فلمَّا سمع ثعلب بالطبري قال: (ذاك من حذاق الكوفيين)[95]، وهذا دليل على كوفية الطبري. (وقال أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد سمعت ثعلبا يقول : قرأ عليّ أبو جعفر الطبري شعر الشعراء قبل أن يكثر الناس عندي بمدة طويلة)[96]، وهذا يدل على أن الطبري تلمذ على أبي العباس ثعلب و هو أحد أعلام المذهب الكوفي .

وقد أورد الثعالبي ذكر الطبري في مواضع كثيرة ، ففي قوله تعالى : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (الفاتحة: 1) قال الطبري : (الحمد لله : ثناءٌ أثنى به على نفسه تعالى ، وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا به عليه فكأنه قال : قولوا : الحمد لله ، وعلى هذا يجيء : قولنا ، إياك وأهدنا)[97].

وقال في موضع آخر من تفسير سورة البقرة في قوله تعالى:

ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (البقرة:199) (المخاطب بهذه الآية قريش، ومن ولدت قاله ابن عباس وغيره ، وذلك أنهم كانوا لا يخرجون من أكرم ، ويقفون بجمع ويفيضون منه و، مع معرفتهم أنّ عرفة هي موقف إبراهيم ، فقيل لهم: (أفيضوا حيث أفاض الناس ) أي من عرفة ، و(ثم) ليست في هذه الآية للترتيب ، إنّما هي لعطف جملة كلام على جملة هي منها منقطعة ، وقال الضحاك : المخاطب بالآية جملة الأمَّة ، والمراد بالناس إبراهيم ، ويحتمل أن تكون إفاضة أخرى ، وهي التي في المزدلفة ، وعلى هذا عول الطبري)...[98].وقد ورد ذكره في أكثر من خمسمئة موضع في التفسير.

الهوامش:

[1]- ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ،أبو الخير بن محمد السخاوي ،دار مكتبة الحياة ، بيروت(ب-ت)،152/4،وينظر شجرة النور الزكية 382/1

[2]- ينظر: الأنساب ،أبو سعد بن منصور السمعاني ، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مجلس دائرة المعارف العثمانية،ط1، حيدر آباد ،132/3،ولب اللباب في تحرير الأنساب،السيوطي، بيروت ، 57/1

[3]- ينظر: اللباب في تهذيب الأنساب ،ابن الأثير، بيروت(ب-ت)،ص277

[4]- الأعلام ، خير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين ،ط15 ،2002 و331/3

[5] - ينظر: شجرة النور الزكية:352/1

[6]- ينظر: معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر ،عادل نويهض،دار نويهض ،ط3 بيروت-لبنان:1988 ، 276/1

[7]- ينظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشايخ والمسلسلات،عبد الحي عبد الكبير الكيتاني، بإعتناء د.إحسان عباس دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت 1982، 732/1

[8]- ينظر: معجم المطبوعات المعرّبة، يوسف اليان سركيس، مطبعة سركيس ، مصر:1366ه/1928م، 661/2

[9] - ينظر:التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا ، محمد بن رزق بن عبد الناصر السلمي ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية، 1426ه ، 508/2

[10] -ينظر: شرح الزروق على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني ، أبو العباس أحمد الفاسي ، تحقيق : أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية – بيروت –لبنان : 1427ه- 2006م، 11/1

[11] - ينظر: رسالة الشرك ومظاهره، مبارك بن محمد الميلي الجزائري ،تحقيق:أبو عبد الرحمن محمود ، دار الراية للنشر والتوزيع ،ط1422ه- 2001م، ص77

[12]- المصدر نفسه : 661/2

13-ينظر: هداية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، إسماعيل بن محمد البغدادي ،وكالة المعارف الجليلة ،استانبول: 1951، 533/1 ،وينظر الأعلام للزر كلي :331/3

14 - نيل الابتهاج بتطريز الديباج ،أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه التنبكتي السوداني، عناية وتقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة ،الناشر: دار الكاتب، طرابلس – ليبيا ، الطبعة: الثانية، 2000 م ، (258)

15- المصدر نفسه.(258).

16- عبد الرحمن الثعالبي ومنهجه في التفسير" كتبها عبدالحق عبد الدائم سيف القاضي وهي رسالة ماجستير بإشراف د. عبد الفتاح سلامة بالجامعة الإسلامية سنة 1405 هـ.

[17]- ينظر: قصة الأندلس ،راغب السرجاني ،مؤسسة اقرأ ،ط1،القاهرة: 2011،ص15،الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي(نقلا عن موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي)، أبو سعيد المصري1/7، مكتبة المدينة

[18]- ينظر: الفكر التربوي في الأندلس ،عبد البديع عبد العزيز الخولي ، دار الفكر العربي ،ط2 ،القاهرة : 1985،ص42

[19]- ينظر: تاريخ آداب العرب ،مصطفى صادق الرافعي ،دار الكتاب العربي 77/2

[20]- ينظر: مقدمة ابن خلدون ،تحقيق خليل شحادة ، دار الفكر ،بيروت: 1408ه/1988م ، ص554-555

[21]- تاريخ آداب العرب 208/3

[22]-المدارس النحوية ، د0شوقي ضيف ، دار المعارف ،ط4 القاهرة : ص292

[23]- ينظر: جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري، محمود بو عايد الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،1982، 57/15

[24]- ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، محمد بن محمد بن عمر مخلوف ،دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان(ب- ت)382/1

[25]- ينظر : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، أحمد بابا التنبكتي(ت1036هـ)، إشراف وتقديم عبد الحميد عبدالله الهرامة ، كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ،الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى: ص487

[26]- ينظر: معجم أعلام الجزائر من صدر الأسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية ، ط2 بيروت- لبنان:1980م، ص 91و الضوء اللامع :72/3 ،و شجرة النور الزكية : 27

[27]- الأعلام :26

[28]-غاية النهاية : 4/1

[29]- الأعلام : 26

[30]- تاريخ أسماء الثقات ،ابن شاهين البغدادي ،تحقيق : صبحي السامرائي ،ط1،الكويت:1984 : 38

[31]- بغية الوعاة : 404

[32]- معجم الأدباء : 38/1

[33]- الأعلام : 26

[34]- سير أعلام النبلاء : 308/6

[35]- بغية الوعاة : 404/1، وغاية النهاية : 4/1

[36]- ينظر: غاية النهاية : 4/1

[37]- ينظر: بغية الوعاة : 404/1 ، وتاريخ الإسلام ،(الذهبي) ،تحقيق د0 بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي،ط2003 ،807/3 ، وسير أعلام النبلاء : 308/6

[38]-غاية النهاية :4/1

[39]-ينظر : معجم الأدباء :38/1 ،والفهرست :272 ،والأعلام 27/1

[40]- الوافي بالوفيات : 48/21 ،ونزهة الألباء :59/1 ، ومعجم الأدباء : 1738/4

[41]- ينظر: الوافي بالوفيات :48/21، المدارس النحوية (ضيف) : 178 ،بغية الوعاة :162/2

[42]- ينظر : نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، محمد الطنطاوي ، تحقيق : أبو محمد عبد الرحمن بن محمد ، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، ط1 (1426هـ- 2005م)،ص94

[43]- ينظر: الوافي بالوفيات :48/21

[44]-نشأة النحو : 94

[5]-ينظر: الوافي بالوفيات : 365/16 ، وبغية الوعاة : 164/2

[46]- ينظر : ما تلحن فيه العامة :45

[47]- الجواهر الحسان : 113/1 ، 240 ، 276 ، 313 ، 462 ، 507 ، 114/2 ، 127 ، 170 ،203 ، 282 ، 356 ، 364 ، 375 ، 497 ، 450/3 ،480

[48]- الفهرست : 91 ، وطبقات النحويين : 131 ، و بغية الوعاة :333

[49]- ينظر: الأعلام : 145/8، ونزهة الألباب :67/2

[50]- ينظر: وفيات الأعيان : 181/6

[51]-ينظر:الفهرست : 91 ، والمدارس النحوية (ضيف) :192

[52]- ينظر: الأعلام : 145/8

[53]- ينظر: وفيات الأعيان : 176/6

[54]- ينظر : المدارس النحوية (ضيف) :196

[55]- ينظر : معجم الأدباء :621/5 ، وتهذيب التهذيب : 212/11

[56]- ينظر: طبقات النحويين واللغويين : 131

[57]- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، د0مهدي المخزومي ،مصطفى البابي الحلبي وأولاده ،ط2/مصر :1372هـ-1958م ،ص126

[58]- ينظر:نزهة الألباء : 84 ،و ينظر : تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين :، التنوخي ، تحقيق : د0 عبد الفتاح محمد الحاو ، دار الهجر/القاهرة :189/1 ، ووفيات الأعيان :181/6

[59] - ينظر: تاريخ العلماء النحويين : 188/1

[60]- نفسه : 188/1 ، وفيات الأعيان : 181/6، وبغية الوعاة : 333/2

[61]- ينظر :الجواهر الحسان : 42/1 ،122 ،227 ،000 ،89/2 ، 109 ، 352 ،000 ،55/3 ، 150 ،316 ، 323

[62]- ينظـــــــــــــــر: نفســـــــــــــــه :166/1، 258، 484، 5/2، 107، 98، 109، 208، 494، 401/3، 412، 423،
[63]- ينظـــــر نفســـــه :41/1، 273، 507، 508، 109/2، 389 ، ويقابـــل بـــرأي الفـــراء فـــي همـــع الهوامـــع 206/1 ،وشرح ابن عقيل99/1 (الحاشية)
[64]- النحـــو الكـــوفي وأثـــره فـــي تفاســـير القـــرن الســـادس الهجـــري (رســـالة دكتـــوراه) ، جبـــار عبـــاس الخالـــدي ، كلية الآداب –جامعة بغداد 1992 ، ص9 وما بعدها
[65]- ينظر : معجم الأدباء :621/5 ، وتهذيب التهذيب: 212/11
[66]- ينظر: بغية الوعاة : 396 ، ومعجم الأدباء : 55/2
[67]- ينظر: الفهرست : 100 ، و وفيات الأعيان : 102/1
[68]- ينظر: وفيات الأعيان : 396
[69]- ينظر: بغية الوعاة : 396
[70]- ينظر : مدرسة الكوفة :144
[71]- الفهرست : 100 ، و طبقات النحويين : 150
[72]- طبقات النحويين واللغويين : 147
[73]- بغية الوعاة : 397 ، وإنباه الرواة : 179/1
[74]-طبقات النحويين : 149 ، و ينظر : بغية الوعاة : 379
[75]-مجـــالس ثعلـــب ، أبـــو العبـــاس بـــن يحيـــى ثعلـــب ، تحقيـــق : عبـــد الســـلام هـــارون ،دار المعـــارف /مصـــر: 2008 ،ص16
[76]- طبقات النحويين واللغويين : 141
[77]- نزهة الألباء : 174
[78]- نفسه : 174
[79]- نفسه :174
[80]- مدرسة الكوفة (المخزومي) : 4
[81]- نفسه :193
[82]- ينظر الجواهر الحسان : 59/1
[83]-نفسه : 59/1
[84]- نفسه: 206/3
[85]- ينظـــــر: وفيـــــات الأعيـــــان : 191/4، والأعـــــلام :69/6 ، وهدايـــــة العـــــارفين : 26/2 ، والفهرســـــت : 287/1 ،
[86]- ينظر: معجم الأدباء :2441/6
[87]- معجـــم حفـــاظ القـــرآن عبـــر التـــاريخ ، محمد محمد ســـالم، دار الجيـــل ، ط1، بيـــروت: 1412هـ -1991م ،143/1
[88]- ينظر: سير اعلام النبلاء: 267/4
[89]- ينظـــر: معجـــم شـــيوخ الطبـــري الـــذين روى عـــنهم لأكـــرم محمد الفـــالوجي ،الـــدار الأثريـــة ،ط1 ، الأردن: 1426هـ - 1991م،ص47
[90]- ينظر: معجم حفاظ القرآن : 148/1
[91]- نفسه :148/1
[92]- نفســـه : 153/1 ، ينظـــر : مـــرآة الجنـــان :195/2 ، والبدايـــة والنهايـــة ، وأبـــو الفـــداء إســـماعيل القرشـــي البصـــري ، تحقيـــق : علـــي شـــيري ،دار إحيـــاء التـــراث العربـــي ،ط1/1408هـ - 2005م،165/11
[93]-ينظر : البداية والنهاية : 165/11 ، ومعجم حفاظ القرآن : 153/1 ، ومعجم شيوخ الطبري : 57
[94] - ينظر : معجم شيوخ الطبري : 54-55 و سير أعلام النبلاء : 274/14 والأعلام: 121/3
[95] - ينظر: معجم الأدباء: 452/6
[96] - معجم الأدباء: 2452/6
[97]- الجواهر الحسان : 40/1
[98]- الجـــواهر الحســـان: 158/1 ، وينظـــر : نفســـه : 201/1، 238، 245، 269,287، 300، 355 ، 65/2، 254، 311، 331، 405، 441، 501، 14/3، 0000000،